مفهوم النحو الوظيفي

كتاب :اللسانيات الوظيفية مدخل نظري للدكتور أحمد المتوكل

كتاب: محمد مليطان، نظرية النحو الوظيفي الأسس والنماذج والمفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الامان الرباط، ضفاف لبنان، ط1، 2014

- لعلّ أوّل ما يجب على الباحث أن يحصّ له هو تحقيق تصور واضح لمفهوم العلم، وتحقيق هذا التصور لموضوع هذا العلم النّحو الوظيفي مرهون بفك مصطلحاته المكونة له ؛ النّحو والوظيفة، ومعرفة مداليلها، نظرا للمفاهيم المتعددة التي أخذها المصطلحان في الثقافتين العربية والغربية مما يتطلب ضبطا وتحديدا، ثم هي محاولة لإزالة اللبس العالق في بعض الأذهان، حيث إن كثيرا من الدارسين لا يميزون بين النّحو الوظيفي والتداولية ويجعلا ما متساويين من حيث إ ما يبحثان في علم استعمال اللّغة، وهذا الأمر، وإن كان صحيحا إلى حد ما، لا يمكن قبوله ذا الإطلاق؛ فالنّحو متعلق باستنباط القواعد أو النظام الذي يحكم لغة ما) بمراعاة الوظيفة الأساس لها؛ التبليغ(، أمّا التداولية فهي علم له كبير تعلق بالحركة الفلسفية الغربية التي جعلت من بين أبرز اهتماما البحث في القضايا المتعلقة بالاستعمال اللغوي
- **تعريف النحو الوظيفي:**

نحو: نموذج صوري يرصد ويصف ويفسر الواقع الذي تستهدفه النظرية اللغوية ص 143

نحو خاص: نحو يرصد خصائص لغة معينة، ويقابله نحو كلي 143

نحو كلي: نحو يرصد الكليات اللغوية أي القواسم المشتركة بين اللغات البشرية. ويقابله نحو خاص 144

نحو نواة: اللبنة الأساس في بناء النحو الوظيفي وأول نماذجها اقترحه سيمون ديك 1978 ص 144

نحو وظيفي: نحو يعد خصائص اللسان الطبيعي الصورية والتركيبية والصرفية والصوتية مقومات غير مستقلة عن الدلالة والتداول ولا يتم وصفها وتفسيرها إلا باللجوء إلى عوامل دلالية وتداولية ص 145/144

وظيفة 1: دور تسخر من أجله الكائنات البشرية اللغات الطبيعية بهدف تحقيقه، ودور اللغات في المنظور الوظيفي هو التواصل. ص 151

وظيفة 2: علاقة يمكن أن تقوم بين عناصر الجملة الواحدة أو بين الجملة داخل نفس النص أو بين النصوص التي ينتظمها الخطاب الواحد. ص: 151

وقد يطلق بعض اللسانيين مصطلح) نحو (وهو يريد به الوصف الكلي للغة .نجد هذا الإطلاق عند دي سوسير مثلا، قال" :يمكن أن نطلق على الألسنة القارة أي وصف حالة من حالات اللّغة اسم نحو بالمعنى الدقيق للكلمة، وهو في الواقع ذلك المعنى المتداول الذي نجده في عبارات من قبيل نحو لعبة الشطرنج، نحو البورصة وغيرها، حيث يتعلق الأمر بشيء متشعب ومنتظم يقوم على تعامل جملة من القيم المتواجدة "

يقول جون ديبوا، معدّدا إطلاقات مصطلح) نحو (والتي من بينها" :النّحو هو الوصف للمورفيمات النّحوية والمعجمية فقط، بدراسة أشكالها وتأليفا من أجل تشكيل كلمات بنائها (أو جمل) التّركيب، وفي هذه الحالة نجد أنّ النّحو يقف قسيما للفونولوجيا، ويمكن تسميته، وهو ذا المفهوم، بالمورفوسينتاكس "

ومن ثمة فالنّحو الوظيفي، كما يقول كونو، وفق منظور عام" (مقاربة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقاتها البنيوية

وقد حاول المتوكّل تقديم تصوّر للتفريق بين التّوجّه الوظيفي والتّوجه غير الوظيفي، مركزا على بيان أهمّ نقاط الائتلاف والاختلاف، مؤكّدا على أنّ ما يخالف بين هذين التّوجهين أكثر مما يؤالف بينهما، وسيحاول البحث إيجازها في النّقاط التّالية:

- أ-وجوه الائتلاف:

من النّقاط التي يرى المتوكّل أنها تجمع بين هذين التّوجهين اتّفاقهما، وفق نظرة عامّة، في الموضوع، والهدف، وحدود المعالجة؛ موردًا أنها نظريات تتّخذ موضوعا لها اللّسان الطبيعي محاولة بناء نموذج صوري (تجريدي) يستوعب الظّواهر الموصوفة وهدفها هو استكشاف الخصائص الجامعة بين اللّغات الطبيعيّة على اختلاف أنماطها، إضافة إلى هذا فهي لا تتوقّف عند الوصف الصّرف للظّواهر اللّغوية، بل تتعدّاه إلى محاولة تفسير هذه الظّواهر.

كما يورد أنّ الأنحاء التي تبنيها هذه النّظريّات هي أنحاء قدرة لا أنحاء إنجاز؛ أي وصف قدرة المتكلم اللغوية التي تمكنه من التواصل.وفي بنائها لهذه الأنحاء تفرد، بدرجات متفاوتة، مستويات لتمثيل الجوانب التركيبية والدلالية والتداولية.

- ب-وجوه الاختلاف :

ركّز المتوكّل، لبيان أوجه المفارقة والاختلاف، على نقاط كثيرة أهم ها :وظيفة اللّغة، والعلاقة الناشئة بين بنية اللّغة ووظيفتها، وكذا حدود القدرة، وموقع الجوانب التداولية من تمثيلها.

فوظيفة اللّغة في النّظريّات غير الوظيفيّة هي التّعبير عن الفكر، في حين نجد أنّ النّظريّات الوظيفيّة ترى فيها وسيلة للتّواصل الاجتماعي.

واستتباعا لهذه الوظيفة ترى النّظريّات الوظيفيّة أنّ بنية اللّغات لا يمكن أن ترصد خصائصها إلا إذا ربطت هذه الوظيفة، خلافا للنظريات غير الوظيفيّة التي ترى في بنية اللّغة نسقا مجردا يمكن وصف خصائصه بمعزل عن وظيفته. ومن ثمة فقدرة المتكلم /السامع عند غير الوظيفيين هي معرفته للقواعد اللغوية الصِّرف الصّوتية، والتركّيبية، والدّلالية(، أما عند الوظيفي ين فهي معرفة المتكلّم لقواعد اللّغة ولكيفية استثمارها في العمليّة التّواصليّة .فالقدرة، إذن، قدرة تواصلية) تشمل هذه القدرة مختلف قواعد اللّغة) الصوتية، والتركيبية، والدلالية (مضافا إليها القواعد التداولية .ومن ثمة فتعلم الطفل للغةٍ ما هو تعلم للنسق الثاوي خلفها ولكيفية استعمالها.

المستوى التداولي في النّظريّات الوظيفيّة يحتل داخل النّحو موقعا مركزيا، حيث إنه يحدّد المستوى الدّلالي الخصائصَ الممثّلَ لها في المستوى التّركيبي الصّرفي، أمّا في النّظريّات غير الوظيفيّة، إذا وجد، فهو لا يقوم إلى جانب المستوى الدّلالي إلا بدور التأويل.

- **النحو الوظيفي في نظر أحمد المتوكل**

قدمت الصياغة الأولية العامة للتحور الوظيفي في كتاب سيموني الذي تثير سنة 1979 حيث أرسى هذا اللغوي أسس النحو الذي يقترحه وقدم الخطاطة العامة التنظيم مكوناته . وقيم، منذ سنة نشر الكتاب، في إطار النحو المقترح، بعدة دراسات تناولت ظواهر لغات متباينة الأنماط مكنت لا من تمحيص انطباقية هذا النحو على لغات طبيعية مختلفة البنية فحسب بل كذلك من إغنائه وتطويره .

في هذا المبحث، نعرض للنحو الوظيفي منطلقين من نتائج الدراسات التي أنجزت في إطاره خلال عشر سنوات والتعديلات والاغناءات التي اقترحت على نتائج تلك الدراسات .وبما أن ما يخلف منهجية النحو الوظيفي هي مجموعة المبادئ العامة المعتمدة في جل الأنحاء ذات الطابع الوظيفي التي عرضنا لها في الفصل الثاني من هذا الكتاب، تكتفي هنا بتقديم مكونات الجهاز الواصف وطريقة تنظيم العلاقات القائمة بينها.

- **بنية النموذج العامة**

اعتمدت في صياغة النموذج في النحو الوظيفي المبادىء الآتية : أ. اللغة بنية تركيبية - صرفية ودلائلية) تخلفها وظيفة .وظيفة التواصل.

ب - الخصائص الوظيفية للغات الطبيعية تحدد. إلى حد بعيد، خصائصها البنيوية

ج - البنية التركيبة الصرفية نتيجة لتفاعل أنواع ثلاثة من الخصائص :

الخصائص الدلالية والخصائص التداولية والخصائص التركيبية .

د .العلاقات بين مكونات الجملة أنماط ثلاثة: علاقات دلالية ؛ علاقات

المنفذ والمتقبل والمستقبل والأداة والزمان والمكان...

وعلاقات تركيبية علاقة الفاعل، وعلاقة المفعول)

وعلاقات تداولية علاقة المبتدأ، علاقة الفاعل، وعلاقة المفعول

وعلاقات تداولية العلاقة المبتدأ وعلاقة الذيل وعلاقة المحور، وعلاقة البؤرة ...

هـ -العلاقات الدلالية والعلاقات التداولية علاقات **كلية** يرد استخدام في الوصف الكافي للغات الطبيعية جميعها في حين أن العلاقات التركيبية علاقات غير كلية إذ يستغنى عن استخدامها في الوعي الكافي لبعض اللغات الطبيعية.

و-أنواع العلاقات الدلالية علاقات اوليه وليست علاقات مشتقة، ناتجة عن تركيبات شجرية معينة .

ز- ليست ثمة علاقة مباشرة بين مستوى البنية الدلالية ومستوى البنية الصرفية-التركيبية بل إن الربط بين المستويين يتم عن طريق مستوى ثالث، مستوى البنية الوظيفية.

ن- يتم اشتقاق الجملة عن طريق نقل البنية الدلالية إلى بنية صرفية وتركيبية عبر بنية وظيفية لا العكس .

م-استجابة لمبدأ الكفاية النفسية، يتم اشتقاق الجملة بواسطة بناء البنيات الثلاث الدلالية والوظيفية والتركيبية -الصرفية عن طريق تطبيق قواعد غير تحويلية لا تغير البنية -الدخل حذفا ولا تعويضا ولا نقلا.

ط -استجابة للمبدأ نفسه، لا يمثل للمحتوى الدلالي للمفردات عن طريق نسق عام من الوحدات الدلالية المجردة بل يمثل لها كما هي واردة في اللغة موضوع الوصف

ي- البنية مصدر اشتقاق الجملة بنية غير مرئية لا بالنظر لمكوناته فيما بينها فحسب بل كذلك بالنظر إلى عناصر المكونات ذاتها .

اعتماد هذا المبدأ ناتج عن المبدأ (و) أعلاه، مبدأ أولوية الوظائف بأنماطها الثلاثة : الدلالية والتركيبية والتداولية .كما أنه ناتج عن ارادة تحقيق هدف أساسي: التمكن من التمثيل للبنية الأساس في اللغات الطبيعية جميعها سواء منها اللغات الشجرية واللغات غير الشجرية.

ك- لا يمثل في البنية الأساس إلا للخصائص العامة الممكن وروها في جميع اللغات الطبيعية أما الخصائص. المرتبطة بلغة معينة أو بنمط معين من اللغات، فيمثل لها في مرحلة متأخرة من الأشتقاق على أساس أن البنيتين الدلالية والوظيفية بئيتان ذات طابع عام في حين أن البنية المعرفية - التركية تختلف طبيعة عناصرها ويختلف تنظيم هذه العناصر من لغة إلى لغة أو من نمط من اللغات إلى نمط آخر لا . يتم ترتيب عناصر المكونات وترتيب المكونات فيما بينها في مرحلة متأخرة، أي في مستوى البنية التركيبية- الصرفية عن طريق تطبيق نسيني من القواعد ثلجي المكونات بالمواقع التي تقتضيها وظائفها المؤشر لها في البنية الوظيفية .

على أساسي هذه المبادئ، يتم اشتقاق الجملة عبر بناء بنيات ثلاث» :البنية الحملية، الممثل فيها الخصائص الدلالية والبنية الوظيفية الممثل فيها للخصائص الوظيفية والبنية المكونية محل التمثيل للخصائص الصرفية- التركيبية، ويتم بناء البنيات الثلاث عن طريق تطبيق ثلاثة أنساق من القواعد:

قواعد الأساس وقواعد إسناد الوظائف التركيبية والتداولية وقواعد التعبير، هذه القواعد يتم تطبيقها طبقا للمسطرة التالية :

يضطلع الأساس بإعطاء إطار حملي يشغل دخلا لقواعد بناء البنية الحملية التامة التحديد. ويتم نقل البنية الحملية إلى بنية وظيفية عن طريق إستاد الوظائف التركيبية ثم الوظائف التداولية .وتشكل البنية الوظيفية التامة التحديد دخلا لقواعد التعبير التي تضطلع ببناء بنية مكونية على أساس المعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية. ونوضح البينية العامة للنموذج في النحو الوظيفي بواسطة الرسم: